مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية المجلد (4) العدد(13)- مارس 2025م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: x 2812-145 الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: 2812- 5428
الموقع الإلكتروني: https://jlais.jourals.ekb.eng

الزرقاني وأثره في علوم القرآن
من خلال كتابه مناهل العرفان

حمدية حسين شواط محمد
باحثة بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب– جامعة المنيا

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (4) Issue (13)- march2025
Printed ISSN:2812-541x On Line ISSN:2812-5428
Website: https://jlais.journals.ekb.eg/

الزرقاني وأثره في علوم القرآن من خلال كتابه مناهل العرفان

حمدية حسين شواط محمد

باحثة بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب- جامعة المنيا

ملخص:

إن العمل في رحاب هذا الكتاب الكريم لهو شرف لا يعدله شرف، وإن خدمة هذا النور الإلهي والهدى الربان من أولي العلم والنهى من بذلوا جهوداً مشكورة، وصنفوا المصنفات، في العلوم التي تتصل بهذا الكتاب والتي عرفت بـــ ""علوم القرآن". ومن أشهر من كتب في هذا العلم "محمد عبد العظيم الزرقاني"، فكان هذا المبحث "الزرقاني وأثره في علوم القرآن من خلال كتباه مناهل العرفان". واشتمل هذا المبحث على مقدمة، وأربعة مطالب، المطلب الأول ترجمة للمؤلف، والمطلب الثاني دور المؤلف وكتابه وأثره في علوم القرآن، والمطلب الثالث القضايا المتعلقة بمباحث الكتاب، والمطلب الرابع توثيق المادة العلمية ومصادر المؤلف وبعض المأخذ عليه.

الكلمات المفتاحية: الزرقاني، القرآن، العرفان.

Summary:

Working within the scope of this noble book is an honor beyond compare, and serving this divine light and divine guidance is among those who have knowledge and guidance from those who have made commendable efforts and compiled works in the sciences related to this book, which are known as: Sciences of the Qur'an." Among the most famous books on this science is "Muhammad Abd al-Azim al-Zarqani." This study was "Al-Zarqani and his impact on the sciences of the Qur'an through his book Manahil al-Irfan." This research included an introduction and four demands, the first a translation by the author, and the second. The role of the author, his book, and its impact on the sciences of the Qur'an. The third requirement is issues related to

the book's topics. The fourth requirement is documentation of the scientific material, the author's sources, and some criticisms of it.
Keywords: Al-Zarqani, the Qur'an, knowledge.

المقدمة

إِنّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وسلم.

أما بعـــــــــد

1ـــ أهمية الموضوع:

إن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، أنزله على رسوله سيدنا محمد ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ لهداية البشرية إلى الدين القويم، فقرأه على الناس ودعاهم إليه، وعلمه لصحابته الذين آمنوا بدعوته، فحفظوه في الصدور، ودونوه في السطور، وعاشوا يهتدون بهديه، ويقتبسون من نوره، ويعملون بأحكامه، ويتخلقون بآدابه.

تتمثل أهمية هذا الموضوع في الوقوف على تأريخ القرآن وعلومه يكشف عن حقيقة هذا الكتاب ومصدره، وكان علماء الأمة قد كتبوا في علوم القرآن وفي المباحث المتصلة بتأريخه، منذ بدء عصر تدوين العلوم الإسلامية إلى زماننا، مئات الكتب التي يعجز المرء غير المتخصص عن الوقوف على كثير منها، أو الاستفاد بها، لما كانت تتسم به من التفصيل والشمول الذي لا يحتاج إلى كثير منه القارئ في هذا العصر، كما أن أسلوب كتابتها لم يعد مألوفاً لدى كثير من قراء زماننا الذين ضعفت صلتهم بكتب التراث.

ومن هنا كانت الحاجة تدعو إلى هذا البحث بعنوان: " الزرقاني وأثره في علوم القرآن من خلال كتابه مناهل العرفان".

2ــ منهج البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، لمعرفة منهج الإمام الزرقاني وما أضفه في كتابه مناهل العرفان وأثره في علوم القرآن.

3ــ خطة البحث:

جاءت الخطة في مقدمة، وأربعة مطالب، وخاتمة، وذلك وفق مايلي:

المقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع، ومنهج البحث.

المطلب الأول: ترجمة مؤلف كتاب مناهل العرفان رحمه الله من الجوانب الآتية: (التعريف بالمؤلف ـــ حياة العلمية ـــ عقيدته من خلال الكتاب ـــــ مؤلفاته ـــــ وفاته).

المطلب الثاني: دور المؤلف وكتابه وأثره في علوم القرآن.

المطلب الثالث: القضايا المتعلقة بمباحث الكتاب.

المطلب الرابع: توثيق المادة العلمية والمميزات ومصادر المؤلف وبعض المأخذ عليه.

الخاتمة.

المطلب الأول

ترجمة مؤلف كتاب مناهل العرفان

الفرع الأول: اسمه ونسبه ومولده.

الشيخ عبد العظيم الزرقاني، من أهالي الجعفرية (السنطلة) من محافظة الغربية من مصر، ونسبه إلى الزرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية.

مولده: لم نستطع التعرفف على العام الذي وُلد فيه المؤلف رحمه الل، وإنما يغلب على الظن أنه وُلد في مطلع القر، الرابع عشر الهجري.

الفرع الثاني: حياته العلمية وعقيدته.

حياة العلمية: التحق الشيخ رحمه الله بالمعهد الأحمدي عالم (1911م)، ثم تخرج من كلية أصول الدين، وقد نال العالمية عام (125م)، وعُين مدرساً بتعهد الزقازيق عام (1926م)، ثم نقل إلى معهد طنطا، ثم عُين إماماً، ثم نُقل مدرساً بمعهد القاهرة،

ومنه إلىكلية أصول الدين عام(1939م) حيث درَّس بها علوم القرآن والحديث، بتخصص الدعوة والإرشاد [1].

عقيدته: أشعري ماتريدي المعتقد، له كلام كثير في الصفات يصرح بنفي العلو والاستواء تارة، وتارة يُعرض بنفيها بعبارات مجملة موهمة، ثم يؤول العلو بعلو المكانة، والاستواء بالاستيلاء. يعد آيات الصفات من المتشابه من جهة المعنى، وينسب التفويض إلى السلف [2].

الفرع الثالث: مؤلفاته ووفاته.

مؤلفاته: أشار المؤلف رحمه الله في كتابه "مناهل العرفان"، إلى أن له مؤلفاً سماه "المنهل الحديث في علوم الحديث"، بالإضافة إلى كتابه الذي اشتهر به. وله بحث آخر في البدع وموقف الإسلام منها، وضعه للمتخصصين في الدعوة والإرشاد، بكلية أصول الدين في الأزهر [3].

وفاته: توفي المؤلف رحمه الله سنة (1367هـ) [4].

المطلب الثاني

دور المؤلف وكتابه وأثره في علوم القرآن

الفرع الأول: مدي استيفاء المؤلف لمباحث علوم القرآن.

أولاً: إن عدد المباحث التي عقده المؤلف في كتابه بلغت سبعة عشر مبحثاً. وهذا العدد يُعد قليلاً إذا ما قارناه بعدد المباحث التي تعرَّض لها من قبله ممن كتب في هذا العلم؛ إلا أن المؤلف تعرض في كتابه لأهم مباحث وأنواع ذلك الفن المسمى بـــــ " علوم القرآن.

1- انظر: الأعلام: (210/6)، سلسلة التراجم الأزهرية (كلية أصول الدين) لمحمد حسين النجار (ص 85)، فهارس المكتبة الأزهرية (194/1، 477/7).

2- انظر: مناهل العرفان: الزرقاني (33/1، 36، 191/2- 193)، الناشر/ مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة/ الثالثة، بدون سنة النشر.

3- انظر الأعلام (210/6)، وفهارس الأزهرية (477/7).

4- المصادر السابقة.

ثانياً: الأحوال والظروف الطاحنة التي أخرج فيها المؤلف هذا الكتاب لم تساعده على مواصلة الكتابة في موضوعات أخرى صرح بها المؤلف في كلمة الختام ومقدمة الطبعة الثانية، منها أزمة الورق، وأدوات الطباعة حتى اضطر أن يقف في الكتابة إلى هذا الحد.

الفرع الثاني: أثر الكتاب على ما كتب بعده في علوم القرآن.

يوجد بعض المؤلفات التي كتبت في هذا العلم بعد ما كتبه الزرقاني، اخترت منها الآتي:

1ـ مباحث في علم القرآن للدكتور: صبحي الصالح.

2ـ مباحث في علوم القرآن للشيخ: مناع القطان.

3ـــ التفسير والمفسرون للدكتور: محمد حسين الذهبي.

4ـــ مدخل إلى القرآن العظيم للدكتور: محمد عبد دراز.

قارنت بينها وبين كتاب الزرقاني في مواضع معدودة من مباحثة. وكانت نتيجة تلك المقارنات هي أن عدداً من أصحاب تلك المؤلفات استفادوا من بعض المباحث في كتابه منها:

1ـــ تعرض الزرقاني لذكر معنى "أسباب النزول" الأمر الذي تابعه عليه القطان في مباحثه.

2ـــ تعرض الزرقاني لذكر الفوائد المترتبة على معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل، وقد تابعه على ذلك القطان أيضاً.

3ـــ استفاد الدكتور صبحي الصالح في مبحث "النسخ" مما كتبه الزرقاني حول هذا الموضوع.

4ـــ وقعت جملة من الاستطرادات عند تعريف الزرقاني للقرآن، ونقله القطان في كتابه.

5ـــ في موضوع "الوحي وأدلته" أورد الزرقاني مسألة "التنويم المغناطيسي" من جملة الأدلة العلمية على الوحي. وقد أورد ذلك الدكتور محمد دراز في كتابه: "النبأ العظيم" [1].

6ـــ عقد الزرقاني في أوائل كتابه، مبحثين خاصين بذكر بعض التعريفات الهامة،مع عرض مقدمات تشمل موضوع هذا العلم وفائدته ... ونشأته ... وتطوره. وتابع عليه القطان في كتابه.

7ـــ بدأ الزرقاني في ترتيب المباحث والموضوعات بعض التعريفات والمقدمات، بموضوع "نزول القرآن والوحي، وتابع القطان في كتابه هذا الترتيب.

8ـــ تابع القطان الزرقاني في عدّه شعبة ووكيع وسفيان في أول المصنفين في التفسير[2]، كما تابعه على ذكر كثير من أوائل المصنفين في بعض أنواع العلوم القرآنية؛ وتابعه في أن أول من ألف في علوم القرآن "مجموعة" هو الحوفي[3].

وهناك أمور أخرى اقتبسها القطان من الزرقاني تقف عليها عند المقارنة بين كلامهما في تاريخ هذا العلم ونشأته وتطوره... كما أفاد الدكتور صبحي الصالح من مناهل العرفان أيضاً في الفصل الأول من الباب الثالث، والذي تحدث فيه عن تاريخ هذا العلم[4] .

الفرع الثالث: ذكر إضافات الزرقاني في كتابه.

إن ما نذكره هنا إنما هو مقتصر على الأنواع والمباحث الزائدة على الأنواع التي ضمنها بعد كتب المتقدمين أمثال الإمام الزركشي، والسيوطي. ومن المباحث التي يمكن أن تعتبر من إضافات الزرقاني في كتابه هي:

1ـــ المبحث الأول: في معنى علوم القرآن [5].

1- انظر: مناهل العرفان، للزرقاني (59/1–62)، والنبأ العظيم: لمحمد دراز (75)، الناشر/ دار القلم للنشر والتوزيع، بدون طبعة، سنة النشر(1426هـ/2005م)، ومباحث في علوم القرآن: للقطان (ص31)، الناشر/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة/ الثالثة، سنة النشر (1421هـ/2000م).

2- المصادر السابق: (24/1)، (ص 12).

3- انظر: مباحث في علوم القرآن، للقطان (ص 12-13).

-4 انظر: مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح (ص 119-126).

5- انظر: مناهل العرفان: للزرقاني (5/1).

2ـــ المبحث الثاني: في تاريخ علوم القرآن [1].
3ـــ المبحث الثالث عشر: في ترجمة القرآن وحكمها تفصيلاً [2].
4ـــ المبحث السادس عشر: في أسلوب القرآن الكريم [3].

الفرع الرابع: ذكر مميزات الكتاب وبيان منزلته بين الكتب في هذا الفن.

يمكننا أن نلخص أهم مميزات هذا الكتاب بما يلي:

1ـــ أن جميع مباحثه تعتبر مهمة وضرورية لطالب هذا العلم، بل إنها أهم مباحث هذا العلم.

2ـــ من الواضح بأن المؤلف اطلع على كتب كثيرة، من المتقدمين والمتأخرين، فجاء كتابه واسع يضم الفوائد والتحقيقات المستمدة من سائر التخصصات العلمية.

3ـــ جمع المؤلف في تأليفه بين التحقيق العلمي، والأسلوب العصري، فكان تناول الكتاب أمراً ميسوراً على غير المتخصصين، كما أن المتخصصين يجدون فيه بغيتهم.

4ـــ ظهر في هذا الكتاب عدة مباحث لم يتطرق إليها قبله المتأخرين ممن كتبوا في هذا العلم من أمثال الإمام الزركشي والسيوط.

5ـــ كانت السمة الأدبية ظاهرة في أسلوب المؤلف في جميع المباحث، مما يستفيد منه القارئ، ويتمتع بكسب الذوق الأدبي من ناحية أخرى.

6ـــ تجد في هذا الكتاب الربط المستمر بين الدين والمعارف الأخرى، بالإضافة إلى محاولة بيان أسرار التشريع وحكمه.

7ـــ لم يتابع المؤلف في تأليفه هذا الكتبا أساليب من سبقه في كثرة التنويع لعلوم القرآن، بل أدمج الأنواع المتشابهة في بعض، وجعلها تحت مبحث واحد.

1- المصدر السابق (21/1).
2- المصدر السابق (3/2).
3- المصدر السابق (198/2).

وبناء على ذلك كله اعُتبر كتاب الزرقاني من المراجع الأساسية في موضوع علوم القرآن، ولذا حظي بشهرة واسعة، حتى أضحى من أكثر كتب الفن ذيوعاً وتداولاً.

المطلب الثالث

بيان منهج المؤلف وأسلوبه والقضايا المتعلقة بمباحث الكتاب

الفرع الأول: بيان منهج المؤلف.

يمكننا أن نلخص المنهج الذي سار عليه المؤلف في كتابه هذا بالنقاط التالية:

1ـــ فيما يتعبق باختيار الأنواع والمباحث المتعلقة بالقرآن، فقد اختار المؤلف أكثرها أهمية كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق.

2ـــ عقد الزرقاني في هذا الكتاب سبعة عشر مبحثاً، وجعل كل مبحث منها يضم مسائل متنوعة تندرج تحته، كما وضع لكثير من هذه المسائل والتفريعات عناوين خاصة تدل عليها. وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه بقوله: "وسأجعلنقاط المنهج المرر عناوين بارزة بين المباحث التي يقوم عليها هذا الكتاب، مقتفياً في الغالب أثر تلك النقط في التسمية وفي الترتيب [1].

3ـــ يعنى المؤلف ببيان معنى العنوان الذي وضعه للمبحث إن كان الأمر يتطلب ذلك فنجده بقول: ـــ مثلاً ـــ " المبحث الثالث في نزول القرآن" ثم يذكر تحته "معنى نزول القرآن" [2]، وكذلك بفعل في عدد من الموضوعات، كأسباب النزول [3]، ونزول القرآن على سبعة أحرف [4]، والمكي والمدني [5].. إلخ.

4ـــ من الملامح البارزة في هذا الكتاب أنه يذكر تحت المبحث ـــ في كثير من الأحيان ـــ فوائد معرفة أو دراسة هذا المبحث .. فهو يقول تحت مبحث "أول ما

1- انظر: مناهل العرفان: للزرقاني (5/1).
2- المصدر السابق (33/1).
3- المصدر السابق (99/1).
4- المصدر السابق (130،146/1).
5- المصدر السابق (185/1-186).

نزل وآخر ما نزل": قوائد الإلمام بأول ما نزل وآخره [1]. وتحت مبحث "أسباب النزول" يقول: فوائد معرفة أساب النزول [2]. وهكذا صنع في مبحث "نزول القرآن على سبعة أحرف" [3] ـــــ وإن كانت الفوائد هنا تتعلق باختلاف القراءة وتعدد الأحرف ـــــ وكذا في موضوع "المكي والمدني" [4].

5ـــ يحاول المؤلف عند أي مناسبة أن يبين طبيعة العلاقة القوية بين الإسلام والعلم.. وأن الإسلام والعلم. وأن الإسلام يدعو إلى العلم والبحث والنظر في الكون والنفس[5].

6ـــ العمل على إبراز أسرار التشريع وحكمه كلما دعى المقام لذلك، ليبرهن على أن هذا الدين هو دواء البشرية، وسبيل كمالها ونجاحها.

7ـــ يرورد الزرقاني خلاف أهل العلم في المسأة التي هو بصددها مع عرض أدلتهم ومناقشتها، ثم يذكر القول الراجح [6].

8ـــ بعد كل مبحث يسوق الزرقاني جملة من الشبه المتعلقة بموضوعه، ثم يحاول الإجابة عنها.

9ـــ ينبه الزرقاني أحياناً على الحكمة المتعلقة ببعض أمور التشريع وما جرى مجراه، كذكره الحكمة من نزول القرآن منجماً [7]، والحكمة من تسوير السور [8]، والحكمة من النسخ [9]، وغير ذلك [10].

1- المصدر السابق (185/1).
2- المصدر السابق (102/1).
3- المصدر السابق (139/1).
4- المصدر السابق (188/1)
5- المصدر السابق (18/1،1،17، 50،58).
6- انظر: المواضع الآتية من المناهل (1/ 16،39،40،42،44،86،97،118،146) فما بعدها، 428، 433، 522).
7- انظر: المصدر السابق (46/1).
8- المصدر السابق (344/1).
9- المصدر السابق (90/2).
10- المصدر السابق (178/2،233).

10ـــ يختم المؤلف بعض المباحث بخاتمة مختصرة، أو كلمة في المبحث، أو تعقيب، أو عرض لمادته [1].

11ـــ يكتفي المؤلف بذكر بعض الأمثلة من القرآن تحت كل مبحث دون محاولة الاستيعاب [2].

هذا وقد التزم المؤلف رحمه الله بالمنهج الذي رسمه في مقدمة الكتاب ووفى به.

الفرع الثاني: أسلوب الزرقاني في كتابه.

صاغ المؤلف كتابه هذا في قالب يجمع بين السلاسة والمتانة، وقد صرح بذلك عند ذكرره الأهداف التي من أجلها وضع كتابه فقال: " أولها: أن تكون كتابتي من النسق الأزهري الجديد في تفكيره وفي تعبيره، بحيث يتيسر فهمه وهضمه للقراء، من أبناء هذا الجيل، سواء منهم المحقق الأزهري، والمثقف المدني، فإن لكل زمان لغة ولساناً، ومنطقاً وبرهاناً .. على أنني في هذه المحاولة لا أدعي أني أنشأت وابتكرت، ولا أحدثت وابتدعت بل قصاراي أنني فهمت وأحسنت العرض [3].

وقال في موضع آخر: " وسأحاول فيما أكتبه أن أمزج بين حاجة الأزهريين إلى البحث والتحليل، وبين رغبات جماهير القراء المعاصرين في تقريب الأسلوب وتعبيد السبيلن ما وسعني الإمكان. وسأضطر بجانب تأدية رسالتنا في وجوب الاتصال الديني بالجماهير[4].

وقد أوقعته تلك المحاولة في الإسهاب فعلاً، فجاء الكتاب مطولاً، مع أنه لو سلم من ذلك الإسهاب لسقط ما يقارب نصف حجه الحالي أو ثلثه [5]. كما وقعت في هذا الكتاب كثير من الاستطرادات التي زادت في ضخامته [6]. هذا وقد صاع المؤلف كتابه بعبارة أدبية جيدة [7]، يتخللها في أحيان كثيرة حكم رقيقة،

1- المصدر السابق (32/1، 33 ،84 ،97 ، 572، 574 ، 68/2 ، 331).
2- انظر المقدمة (5/1).
3- ماهل العرفان (1/ ب)
4- المصدر السابق (4/1).
5- للوقوف على بعض صور الإسهاب انظر: (4/1، 16- 20، 84، 233، 242، 329، 474).
6- لمطالعة بعض الاستطرادات انظر: (66/1، 134، 135، 354).
7- انظر نموذجاً على ذلك (ص 1) من المقدمة.

وأمثال بليغة [1]، مع العلم بأن هذه السلاسة قد يتعكر صفوها عند تعثرها ببعض الأساليب المنطقية أحياناً [2]. كما كان المؤلف يصبو إلى الأسلوب الذي يبعث الهمم على العمل الدائب لنصرة هذا الدين، مع الاعتزاز به، والانقياد إلى تعاليمه. وقد صرح بهذا في مقدمته [3].

الفرع الثالث: القضايا المتعلقة بمباحث الكتاب.

سبقت الإشارة إلى أن هذاالكتاب حوى سبعة عشر مبحثاً من مباحث علوم القرآن، وهذه المباحث هي:

1ـــ المبحث الأول: في معنى علوم القرآن.

2ـــ المبحث الثاني: في تاريخ علوم القرآن.

3ـــ المبحث الثالث: في نزول القرآن.

4ـ المبحث الرابع: في أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن.

5ـــــ المبحث الخامس: في أسباب النزول.

6ـــ المبحث السادس: في نزل القرآن على سبعة أحرف.

7ـ المبحث السابع: في المكي والمدني من القرآن.

8ـــ المبحث الثامن: في جمع القرآن الكريم وما يتعلق به.

9ـــ المبحث التاسع: في ترتيب آيات القرآن وسوره.

10ـــ المبحث العاشر: كتابة القرآن ورسمه ومصاحفه.

11ـــ المبحث الحادي عشر: في القراءات والقراء والشبهات فيهما.

12ـــ المبحث الثاني عشر: في التفسير والمفسرين وما يتعلق بهما.

13ـــ المبحث الثالث عشر: في ترجمة القرآن وحكمها تفصيلاً.

14ـــ المبحث الرابع عشر: في النسخ.

15ـــ المبحث الخامس عشر: في حكم القرآن ومتشابهه.

1- انظر على سبيل المثال من مناهل العرفان (46/1، 74، 75، 77، 78، 84، 138، 172، 177، 289، 308، 315، 327، 432، 499).

2- انظر: مناهل العرفان (6/1، 14، 121، 123 - 126).

3- انظر: المصدر السابق (1/هـ).

16ـــ المبحث السادس عشر: في أسلوب القرآن الكريم.

17ـــ المبحث السابع عشر: في إعجاز القرآن وما يتعلق به.

المطلب الرابع

توثيق المادة العلمية والمميزات ومصادر المؤلف وبعض المأخذ عليه.

الفرع الأول: توثيق المادة العلمية والاهتمام بالعزو.

يلاحظ على الزرقاني في كتابه ما يلي:

1ـــ أنه ينقل في عدد من المواضع في هذا الكتاب عن كثير من العلماء بواسطة كتاب آخر، كالإتقان للسيوطي! فهو يعوّل على المصادر البديلة، أو الثانوية، ويدع المصادر الأصلية، ونسبة هذا الأمر ف كتابه هذا كبيرة، ومن أمثلة ما سبق:

أـــ قال المؤلف (ص 119 من الجزء الأول): وإلى هذا يشير ابن تيمية بقوله: "قد يجيء كثيراً من هذا الباب .. إلى قوله ـــ ولغيره ممن كان بمنزلته". وهذا نقله من الإتقان للسيوطي (86/1). بينما عبارة شيخ الإسلام في مقدمته تتضمن بعض الاختلافات عن النصّ الذي أورده السيوطي والمؤلف، وعرف ذلك بالمقارنة [1].

ب ـــ قال المؤلف في (340/1) ما نصه: "أجل، الإجماع على ذلك تاماً لا يب فيه. وممن حكى هذا الإجماع جماعة منهم الزركشي في البرهان، وأبو جعفر في المناسبات، إذ يقول ما نصه "ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه عليه الصلاة والسلام وأمره، من غير خلاف في هذا بين المسلمين". وعبارة السيوطي في الإتقان (172/1): " الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توفيقي، لا شبهة في ذلك، وأما الإجماع فنقله غير واحد، منهم الزركشي في البرهان، وأبو جعفر في مناسباته، وعبارته: "ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه عليه الصلاة والسلام وأمره، من غير خلاف في هذا بين المسلمين". فيلاحظ هنا أن نقله عن الزركشي، وأبو جعفر جاء عن طريق الإتقان.

2ـــ في أحيان متعددة ينقل المؤلف كلاماً لأحد العلماء ولا يشير إلى ذلك. وقد يكون النقب عبارة عن تهذيب لمبحث بجملته، دون نسبة شيء عن ذلك إلى قائلة الأصلي. ومن أمثلة ذلك:

1- قارن مع نص كلام ابن تيمية في مقدمته (ص 12–13).

أـــ ما كتبه المؤلف في مبحث: "ترتي الآيات والسور" (331/1) يُعد إعادة صياغة وترتيب لما ذكره السيوطي في الإتقان حول هذا الموضوع [1].

ب ـــ اقتبس المؤلف كثيراً في كلامه على موضوع: "نزول اقرآن والوحي" (33/1) من كلام السيوطي في الإتقان (118/1) فما بعدها، دون الإشارة إلى ذلك.

3ـــ عندما تقارن النصوص التي ينقلها المؤلف عن غيره بمواضعها الأصلية، نجد أن نقل المؤلف تفوته الدقة في عدد لا بأس به من تلك النقولات، ومن الأمثلة على ذلك: أـــ قال المؤلف في (86/1) "روى البخاري ومسلم "واللفظ للبخاري" عن عائشة أم المؤمنين ـــ رضي الله عنها ـــ أنها قالت: "أو ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ..ألخ. وبالمقارنة مع لفظ البخاري في الصحيح نجد بعض الاختلافات بين اللفظين [2]. ب ـــ قال المؤلف في (88/1) "القول الثالث: أن أول ما نزل هو سورة الفاتحة، وقد استدل أصحاب هذا الرأي بما رواه البيهقي في الدلائل بسنده عن أبي ميسرة" وذك الحديث. ولكن لفظ الحديث عند البيهقي في الدلائل (157/2) يختلف بعض الشيء عما نقله الزرقاني.

ج ـــ قال المؤلف عند ذكر أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف: "وروى البخاري ومسلم أيضاً "واللفظ للبخاري" أن عمر بن الخطاب يقول: "سمعت هشان بن حكيم يقرأ سورة الفرقان" وهذا للفظ الذي نقله عن البخاري فيه بعض المغايرة عما في الصحيح، يعرف بالمقارنة [3].

د ـــ في (ص 136) من الجزء الأول (حديث رقم 5) قال المؤلف: " وروى الترمذي عن أبي بن كعب أيضاً قال .. وذكر الحديث". وإذا رجعنا إليه في سنن الترمذي تجد اختلافاً بين ما نقل الزرقاني وبين لفظ الترمذي في السنن [4].

1- انظر: الإتقان (172/1) فما بعدها.

2- قارن مع البخاري كتاب بدء الوحي (23/1)، باب/ كيف كان بدء الوحي، برقم (3).

3- البخاري: (23/9)، كتاب/ فضائل القرآن، باب/ أنزل القرآن على سبعة أحرف، برقم (4992)، وانظر: مناهل العرفان: الزرقاني، (133/1).

4- سنن الترمذي (194/5(، كتاب/ القراءات، باب/ ما جاء أن القران انزل على سبعة أحرف، برقم (2944).

ه ــــ في (ص 90 من الجزء الأول)، قال المؤلف: "الثاني: أن آخر ما نزل هو قول الله تعالى في سورة البقرة أيضاً: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □[1]، أخرجه البخاري عن ابن عباس، والبيهقي عن ابن عمر". والصواب عن عمر ــــ رضي الله عنه ــــ وليس ابن عمر[2].

وــــ نقل المؤلف في (ص18من الجزء الأول)، حديثاً عزاه إلى مسلم، وبالمراجعة ترى اختلافاً بين اللفظين[3].

وهذه الأمثلة إنما هي في نقل الروايات الحديثية، أما النقولات من كلام أهل العلم فإليك بعض الأمثلة عليها:

أــــ في (ص138ــ139) من الجزء الأول، نقل المؤلف كلاماً لابن الجزري، وبالمقارنة ما نقل بما هو مثبت في النشر[4] تجد أن النقل لم يكن دقيقاً.

ب ــــ نقل المؤلف في (5/1) كلاماً للغزالي من كتب الإحياء (33/1)، وبالمراجعة تجد أن المؤلف تصرف فيه بشكل واضح.

ج ــــ قال المؤلف في (484/1) "قال السيوطي في الإتقان: "ورد عن ابن عباس في التفسير" إلى آخر ما نقل صفحة (485) ــــ وبالمقارنة مع الإتقان (208/4ــــ209) ــــ يتبين لنا أن المؤلف تصرف كثيراً بعبارة السيوطي، دون الإشارة لذلك التصرف.

الفرع الثاني: ذكر المصادر التي استفاد منها المؤلف.

قال الزرقاني في أو كتابه: "أما بعد، فهذا كتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) كتبته تحقيقاً لرغبة مستمداً معارفه ــــ بعد فتوح الله وتوفيقه ــــ مما كتب علماء الإسلام قديماً وحديثاً في القرآن الكريم وعلومه، والتفسير ومقدماته،

1- سورة البقرة: الآية رقم (287).

2- الفتح الرباني: أحمد (54/18)، وابن ماجه (764/2)، كتاب/ التجارات، باب/ التغليظ في الربا، برقم (2276)، والبيهقي في الدلائل (138/7)، وابن جرير (37،38/6)، وتفسير ابن كثير (58/2)، وفتح الباري (205/8)، والدر المنثور (365/1)، والاتقان (77/1).

3- اخرجه مسلم (2052/4)، كتاب/ القدر، باب/ في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم (2664).

4- النشر في القراءات العشر: لابن الجزري (22/1).

وعلم تأريخ التشريع، وعلمي الكلام والأصول، وعلوم اللغة العربية ومعاجمها، وعلمي الفلسفة والاجتماع، وعلمي النفس والأخلاف، وبعض البحوث المنثورة هنا وهناك، في غضون الرسائل والمجلات، من عربية صميمة، ومترجمة منقولة".

لقد تم حصر أكثر من مائة وسبعة مرجع في أنواع الفنون التي استقى المؤلف مادة كتابه منها، واستفاد المؤلف من مادتها في هذا الكتاب وأبرزاها:

1ـــ الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز(في التصوف) [1]، جمعه: أحمد بن مبارك.

2ـــ إتحاف فضلاء البشر/ أحمد بن محمد البناء (ت 1117هـ) [2].

3ـــ الإتقان في علوم القرآن / جلال الين السيوطي (ت 911ه) [3].

4ـــ إحياء علوم الدين / أبو حامد الغزالي (ت 525هـ) [4].

5ـــ أساس البلاغة / جار الله الزمخشري (ت 358هـ) [5].

6ـــ أسباب النزول / أبو الحسن الواحدي (ت 468) [6].

7ـــ إلجام العوام عن علم الكلام / أبو حامد الغزالي(ت 525هـ) [7].

8ـــ الأم / الشافعي (ت 204ه) [8].

9ـ إنجيل متى، ومرقس [9].

11ـــ البحر المحيط / الزركشي (ت 794هـ) [10].

12ـــ البحر المحيط في التفسير / ابن حيان (ت 745هـ) [11].

13ـــ البرهان في علوم القران / الزركشي.

1- انظر: مناهل العرفان (375/1).
2- المصدر السابق: (386/1).
3- المصدر السابق: (38/1 ،174، 339، 422، 426، 458، 477، 482، 484، 486، 487، 2/ 57، 169، 173، 13، 194، 195).
4ـ المصدر السابق (5/1، 513، 558).
5- المصدر السابق (5/2).
6- المصدر السابق (102/2).
7- المصدر السابق (65/2).
8- المصدر السابق (60/2).
9- المصدر السابق (88/2).
10- المصدر السابق (27/1، 57/2، 69).
11- المصدر السابق (478/1، 546).

14ـــ التبيان في آداب حملة القرآن / النووي (ت 676هـ) [1].
15ـــ مجموع البيان لعلوم القرآن /أبو الفضل بن الحسن الطبرسي الرافضي (ت 835هـ) [2].
16ـــ المرشد الوجيز/ عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت 665هـ) [3].
17ـــ معاني القرآن / يحيى بن زياد الفراء(ت207هـ) [4].

تنبيه: كثير من هذه المصادر إنما استفاد منها المؤلف ونقل عنها بواسطة كتاب آخر كالإتقان مثلاً. ولما كان يعصب تمييز ما نقل عنه بواسطة عن غيره، رأيت أن أورد فقط بعض المصادر سالفة الذكر.

الفرع الثالث: بعض المآخذ على الكتاب.

1ـــ يلاحظ القارئ لصفحات هذا الكتاب وقوع بعض العبارات أو النقولات ذات الطابع الصوفي، ومن الأمثلة على ذلك"

أـــ قوله عن البوصيري .. رجل شاعر لا ريب أنه كان يحمل في نفسة قوة شاعرة، يستطيع أن يصوغ بها ما يشاء من غرر القصائد، وعندما اتجهت شاعريته فعلاً أن يمتدح أفضل الخليقة صلوات الله وسلامة عليه بقصيدته المعروفة بالهمزية [5].

ب ـــ قال المؤلف في قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [6]. أي: هداية ونوراً تفرقون به بين الحق والباطل، وبين الرشد والغي، كما جاءفي بعض وجوه التفاسير. وذلك أن المجاهدة تؤدي إلى المشاهدة، والعناية بطعارة القلوب وتزكية النفوس، فجر الحكمة في قلب العبد" ثم نقل كلاماً للغزالي في الخلوة والكشف [7].

1- المصدر السابق (8/1، 182، 260، 351، 378، 402، 404).
2- المصدر السابق (278//2).
3- المصدر السابق (416/1).
4- المصدر السابق (383/1).
5- انظر: ماهل العرفان (11/1)، (247/2)، ووجه إيراد هذا النموذج هو أن المؤلف عمد إلى اختيار ذللك الشاعر وهمزيته ليمثل بهما دون غيرهما مما يدل على حسن رايه فيه وفي قصيدته.
6- سورة الأنقال: من الآية رقم (29).
7- انظر: مناهل العرفان: للزرقاني (304/1).

ج ــ يقول المؤلف: " ويرحم الله ابن عطاء الله السكندري؛ إذ يقول في حكمه: "لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه؛ لأن غفلتك عن وجود ذكره، أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة، إلى ذكر مع وجود يقطة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود، إلى ذك مع وجود غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز [1].

2ــ الاتجاه الأشعري، والخلط في كثير من مسائل الاعتقاد: بينا من قبل موقفه في كثير من صفات الله تعالى [2]، ومتابعته للمتكلمين في مسائل أخرى كالتحسين والتقبيح، وجعل الصفات من المتشابه في المعنى، وقوله بأن الإيمان بمعنى التصديق، وتقريره لكسب الأشعري. ثم يسمى الأشاعرة "أهل السنة" في مواضع كثيرة من الكتاب، كما أنه يسمي التوحيد بعلم الكلام [3].

3ــ تأثر المؤلف بمدرسة الأفغاني وتلميذه محمد عبده، وتلك المدرسة تقوم على أفكار متعددة، منها: الميل إلى الغرب، ومحاولة التوفيق بين حقائق الإسلام وبين ما عند أولئك الغربيين، مع تقديم كثير من التنازلات في سبيل تحقيق تلك الغاية.

4ـــ عدم الدقة في التعريفات، مع التعمق فيها في بعض المواضع: لما عرف المؤلف "علوم القرآن" قال: "إنه مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه، ومنسوخه، ودفع الشبه عنه ونحو ذلك [4]. كما أنه في بعض التعريفات يورد الأقوال المتعددة لأصحاب المشارب المختلفة، من مناطقة وفلاسفة ولغويين وأصوليين [5].

5ـــ عمد المؤلف في كتابه هذا إلى عرض الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام، ثم حاول الرد عليها، وقد جعل ذلك هدفاً من جملة الأهداف التي من أجلها وضع هذا الكتاب. ولكن هناك بعض الشبه ساقها المؤلف لا تستحق الذكر، وأحياناً تأتي ردوده

1- المصدر السابق (27/2).
2- المصدر السابق (ص 45).
3- انظر المصدر السابق (471/1)، (515)، (541).
4- انظر: مناهل العرفان: للزرقاني، (20/1).
5- المصدر السابق (1/ 5-14).

غير محكمة، كما أنه أسرف في ذكر الشبهات وعرضها وبعضها مرفوضة لمخالفتها لمنهج أهل السنة والجماعة. انتهى.

الخاتمة

نتيجة البحث:

وبعد هذا المبحث في موضوع الزرقاني ودوره في تطور مباحث علوم القرآن من خلال كتابه مناهل العرفان فقد توصلت إلى النتائج الآتية:

1ـــ أن جميع مباحثه تعتبر مهمة وضرورية لطالب هذا العلم.

2ـــ جاء كتابه واسع يضم الفوائد والتحقيقات المستمدة من سائر التخصصات العلمية.

3ـ ظهر في هذا الكتاب عدة مباحث لم يتطرق إليها قبله المتأخرين ممن كتبوا في هذا العلم.

4ـ تجد في هذا الكتاب الربط المستمر بين الدين والمعارف الأخرى، بالإضافة إلى بيان أسرار التشريع وحكمه.

5ـ هناك بعض المآخذ المشتركة ما بين عقيدة المؤلف ومباحث الكتاب، والمؤلف له اتجاه صوفي أشعري وخلط في كثير من مسائل الاعتقاد من صفات الله تعالى وجعلها من المتشابه في المعنى، وتابع المتكلمين وسمى التوحيد بعلم الكلام.

هذا ما توصلت له من خلال هذا الجهد المتواضع

ونسأل الله أن يتقبله ويكون خالصاً لوجه الكريم.